اليهودي يتغلّب عليه حسبما يرد في الرواية. فها هو «ميخائيل هيلفرين يرقص حاملاً خنجراً في يده، خطفه من يد عربي انقض عليه ليقتله» (ص ٤٠١).

ومن ناحية أخرى، وخدمة للهدف الذي يرمي إليه عجنون، يصف عجنون «العامل العربي بأنه ينصاع للأوامر، وخنوع»، في حين أن «العامل اليهودي لا يقبل سيادة أحد، ولا يتخلى عن آرائه» (ص ٤٠٧).

وينسى عجنون، أو يتناسى، الأحياء اليهودية الفقيرة ومدى كثافتها السكّانية، وسكّان الغيتو اليهودي، خصوصاً في شرق اوروبا التي جاء منها، ليوجّه سهام انتقاداته إلى مساكن العرب في فلسطين، «وتلوّث هوائها إلى درجة أن سكّان يافا (اليهود طبعاً) إشمأزّوا منها» (ص ٤٣٧). ورغم ذلك فإن العرب «يرفعون من سنة إلى أخرى إيجار المساكن» (ص ٤٣٧). والعربي، كما يصوّره عجنون، «شرير يضايق جيرانه اليهود، يومياً ويمنع عنهم المياه». لكن اليهودي، حسب الرواية، «إنسان طيّب لا يدخل في نزاع مع العربي، بل يبث شكواه إلى الله. وفي ذات يوم يعثرون على العربي الذي منع المياه عن الربي نفتالي ميتاً في بئر المياه» (ص ٤٨٨)، هكذا يريد عجنون!

ويستطرد عجنون في إيراد الأمثلة التي يريد من ورائها تشويه صورة العرب في فلسطين، فهم يخرّبون كل شيء، حتى الطاحونة التي أقامها موشي مونتفيوري في القدس للتخفيف عن الناس، وهو يذكر كلمة «الناس» هنا، إمعاناً في الإساءة إلى العرب، فهو يقول ان الطاحونة «لمصلحة الناس جميعاً، ولا تخص اليهود، ومع ذلك فإن العرب يعملون على تخريبها» (ص ٥٧٠).

ولماذا يعمل العرب على تخريب الطاحونة؟ في رأي عجنون: «لأن العرب يحصلون من الناس على أجور مرتفعة نظير طحين القمح، ورغم هذا فإن الطحين أقل من القمح» (ص ٥٧٠)، أي أن العرب، كما يريد عجنون أن يقول «يسرقون القمح» وإلّا فأين يذهب! ولذلك فإنهم لّما رأوا الطاحونة التي أقامها مونتفيوري حقدوا عليها وعملوا على تخريبها» (ص ٥٧١).

ويتّضح تعصّب عجنون، وازدرائه للعرب، في محاولة تحقيرهم إلى حد وصف «جلوس الكلب بالاك» بأنه «مثل جلوس العرب»! (ص ٥٧٨).

وهكذا يمكن القول إن الأمثلة التي أوردناها تثبت بلا شك نظرة عجنون العنصرية ضد العرب، مما يتنافى مع الدور الإنساني الذي يُفْتَرضُ أن يؤديه الأدب الإنساني، الذي يستحق الحصول على جائزة نوبل التي حصل عليها عجنون سنة ١٩٦٦، مما يثير علامات استفهام كثيرة حول مدى استحقاقه لهذه الجائزة التي ترتبط بخدمة السلام والإنسانية.

فعجنون يوظف كل مناسبة للإساءة إلى العرب ولتشويه صورة الإنسان العربي في فلسطين، مستهدفاً بذلك إيجاد مبرّرات تخدم أهداف الإستيطان، مما يمكننا القول: إنه